﴿ الآفة العشرون سؤال العوام عن الغوامض ﴾

من حق العوام الاشتغال بالعمل الصالح الا أن الفضول خفيف على القلب والعامي قد يفرح بالخوض في العلم إذ الشيطان يخيل اليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى قد يتكلم بما هو كفر ولا يدري . وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي . وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال . وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه اذ قال ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات فيجب منعهم من ذلك وزجرهم *

كتاب ذم الغضب

﴿ والحقد والحسد ﴾

ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة وأنها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر

الدفين في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزّته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظي والاستعار والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح الجسد . واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما أحوجه الى معرفة معاطبه ومساوءه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان وينفيه وهاك بيان ذلك بعونه تعالى *

﴿ بيان ذم الغضب ﴾

قال الله تعالى (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) الآية . ذمّ الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل عليهم من السكينة . وروي أن رجلا قال يارسول الله مرني بعمل واقلل قال: لاتغضب ثم أعاد عليه فقال . لاتغضب . وقال صلى الله عليه وسلم (مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ) قلنا الذي لاتصرعه الرجال قال (لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنِ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) *

وعن جعفر : الغضب مفتاح كل شرّ . وقال بعض الأنصار : رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم

زين ومنفعه والجهل شين ومضره والسكوت عن جواب الأحمق جوابه وقال الحسن : من علامات المسلم قوّة فى دين وحزم فى لين . وايمان فى يقين وعلم فى حلم . وكيس فى رفق . واعطاء فى حق . وقصد فى غنى . وتجمل فى فاقة . واحسان فى قدرة . وتحمّل فى رفاقة . وصبر فى شدّة . لا يغلبه الغضب . ولا تجمح به الحمية . ولا تغلبه شهوة . ولا تفضحه بطنة . ولا يستخفه حرصه . ولا تقصر به نيّته . فينصر المظلوم ويرحم الضعيف . ولا يبخل . ولا يبذر . ولا يسرف . ولا يقتر . يغفر اذا ظُلم . ويعفو عن الجاهل نفسه منه فى عناء . والناس منه فى رخاء *

﴿ درجات الناس مع الغضب ﴾

اعلم أن قوّة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب وانتشاره فى العروق وارتفاعه الى أعالى البدن كما ترتفع النار والماء الذى يغلى فى القدر فلذلك ينصبّ الى الوجه فيحمرّ الوجه والعين ، والبشرةُ لصفائها تحكى لون ماوراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون مافيها *

ثم ان الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث من التفريط والافراط والاعتدال (أما التفريط) فقد هذه القوّة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه أنه لاحمية له . وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالشدّة والحمية فقال (أشِدّاء عَلى الكفّارِ) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (جاهِدِ الكفّارَ وَالمنافِقينَ وَاغْلُظْ عَليهِمْ) وانما الغلظة والشدّة من آثار قوة الحميّة وهو الغضب *

(وأما الافراط) فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدّين وطاعته ولا يبقى المرء معه بصيرة وفكرة ولا اختيار بل يصير فى صورة المضطر ومن آثار هذا الغضب فى الظاهر تغيّر اللون . وشدّة الرعدة فى الأطراف . وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام . واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق . وتحمرّ الأحداق . وتنقلب المناخر . وتستحيل الخلقة . ولو رأى الغضبان فى حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته . وقبحُ باطنه أعظم من قبح ظاهره . فان الظاهر عنوان الباطن . وانما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغيّر الظاهر ثمرة تغيّر الباطن فقس المثمر بالثمرة . فهذا أثره في الجسد *

وأما أثره فى اللسان فانطلاقه بالشتم . والفحش من الكلام الذى يستحى منه ذو العقل ويستحى منه قائله عند فتور الغضب . وذلك مع تخبط النظم . واضطراب اللفظ . *

وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن وقد يمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الأرض وربما يعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات أو يكسر القصعة أو يشتم البهيمة أو ترفسه دابة فيرفسها ويقابلها بذلك كالمجنون *

وأما أثره فى القلب فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءآت والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك

من القبائح . فهذه ثمرة الغضب المفرط *

وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة واحتمال الذل من الأخساء وصغر النفس وهو أيضاً مذموم إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو صونها قال صلى الله عليه وسلم ﴿ إنّ سَعْدًا لَغَيُورٌ وَأَنا أَغْيَرُ مِنْ سَعْدٍ وَاللهُ أَغْيَرُ مِنى ﴾ وانما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب . ولذلك قيل : كل أمة وُضِعت الغيرة فى رجالها وُضِعت الصيانة فى نسائها *

ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال تعالى ﴿ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِما رَأفَةٌ فى دينِ اللهِ ﴾ *

فنقدُ الغضب مذموم . وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحميّة وينطفئ حيث يحسن الحلم . وحفظهُ على حدّ الاعتدال هو الاستقامة التى كلف الله بها عباده . وهو الوسط الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : خير الأمور أوساطها *

﴿ زوال الغضب بالرياضة وغيرها ﴾

اعلم أنه مادام الانسان يحب شيأ ويكره شيأ فلا يخلو من الغيظ والغضب لأنه من مقتضى الطبع إلاّ أنه قد تفيد الرياضة فى محو قوّته وذلك بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدّة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخاً فالرياضة ليست لينعدم غيظ القلب لأنه غير ممكن . ولكن ليستعمله على حدّ يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك بكسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان

الغيظ فى الباطن وينتهى ضعفه الى أن لا يظهر أثره في الوجه . وقد يتصوّر فقد الغيظ بغلبة نظر التوحيد أو بأن يعلم أن الله يحب منه أن لا يتغاظ فتطفئ شدّة حبه لله تعالى غيظه . أو بأن يشتغل القلب بضرورى أهم من الغضب فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه *

﴿ بيان الأسباب المهيجة للغضب ﴾

قد عرفت أن علاج كل علة بحسم مادّتها وازالة أسبابها فلا بدّ من معرفة أسباب الغضب . وأسبابه المهيجة له هى الزهوّ . والعجب . والمزاح . والهزل . والهزء . والتعيير . والمماراة . والمضادة . والغدر . وشدة الحرص على حصول المال والجاه . وهى بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب . فلا بدّ من إزالتها بأضدادها. فينبغي أن تميت الزهوّ بالتواضع . وتميت العجب بمعرفتك بنفسك . وتزيل الفخر بأنك من جنس أقل مخلوق إذ الناس يجمعهم فى الانتساب أب واحد وانما الفخر بالفضائل . والفخر والعجب أكبر الرّذائل . وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التى تستوعب العمر وتفضل عنه . وأما الهزل فتزيله بالجد فى طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التى تبلغك الى سعادة الآخرة . وأما الهزء فتزيله بالتكرم على إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مُرّ الجواب . وأما شدّة الحرص فبالصبر على مُرّ العيش وبالقناعة بقدر

الضرورة طلبا لعزّ الاستغناء وترفعاً عن ذلّ الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر فى علاجه الى رياضة وتحمّل مشقة. وحاصل رياضتها الرجوع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مواظبة أضدادها مدّة مديدة حتى تصير بالعادة هينة مألوفة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد ذكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضاً من الغضب الذى يتولد منها وأشد البواعث للغضب عند أكثر الجهّال تسميتهم الغضب شجاعة وعزّة نفس حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وهذا من الجهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل ويعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الأنبياء والعلماء *

﴿ بيان علاج الغضب بعد هيجانه ﴾

ماتقدّم هو حسم لموادّ الغضب حتى لا يهيج فاذا جرى سببٌ هيّجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمجون العلم والعمل أما العلم فهو أمور :

(الأوّل) أن يتفكر فيما ورد فى فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب فى ثوابه ويمنعه الرغبة فى الأجر عن الانتقام وينطفئ عنه غيظه *

(الثانى) أن يخوّف نفسه بعقاب الله لو أمضى غضبه وهل يأمن من غضب الله عليه يوم القيامة وهو أحوج ما يكون الى العفو *

(الثالث) أن يحذّر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمّر العدوّ لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوّف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة *

(الرابع) أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكّر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عادتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل *

(الخامس) أن يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ مثل قول الشيطان له أن هذا يُحمَل منك على العجز والذلّة وتصير حقيراً في أعين الناس . فيقول لنفسه ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن . ولا تأنفين من خزي يوم القيامة . ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين . فهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله . وذلك يعظمه عند الله فماله وللناس *

وأما العمل فأن تقول بلسانك : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وان كنت قائما فاجلس وان كنت جالسا فاضطجع ويستحب أن يتوضأ بالماء البارد فان الغضب من النار والنار لا يطفئها إلاّ الماء *

﴿ فضيلة كظم الغيظ ﴾

قال الله تعالى (وسارِعُوا الى مَغفِرَةٍ مِن رَبِّكم وجَنَّةٍ عَرْضُها السمواتُ والأرضُ أُعِدَّتْ المتّقين الذين يُنفقون فى السَّرّاء والضَّرّاء والكاظمين الغيظَ والعافِينَ عن النّاسِ واللهُ يُحبُّ المحسنين) دلت الآية على أن الكاظمين من المتقين وان مغفرة ربهم تنالهم وجنته أعدّت لهم فما أفضل هذا الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم (مَن كَفَّ غَضبَهُ كَفَّ اللهُ عنهُ عذابَهُ ومَنِ اعتذرَ الى ربِّهِ قَبِلَ اللهُ عُذرَهُ ومَنْ خَزَنَ لِسانَهُ سَترَ اللهُ عورَتَهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (أشَدُّكم مَن غَلَبَ نفسَهُ عند الغَضبِ وأحلَمُكم مَن عفا عند القُدرة) وروى أن رجلا من جفاة الأعراب قال لعمر رضى الله عنه والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك فى وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألم تسمع قول الله تعالى (خُذِ العفوَ وأْمُرْ بالعُرفِ واعرِضْ عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين فسكن عمر رضى الله عنه وعفا عنه ☆

﴿ فضيلة الحلم ﴾

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أى تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعوّد ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون فى كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة

كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا وفى الحديث (إنما العلمُ بالتعلمِ والحِلْمُ بالتحلمِ) اشارة الى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم وعنه صلى الله عليه وسلم (إنّ الرجلَ المسلمَ ليُدرِكُ بالحِلْمِ درَجةَ الصائمِ القائمِ) وعن الحسن فى قوله تعالى (وإذا خاطَبَهُمُ الجاهِلونَ قالوا سَلاَماً) قال حلماء إن جُهل عليهم لم يجهلوا وعن مجاهد فى آية (وإذا مَرُّوا باللَّغوِ مَرُّوا كِرَاماً) أى اذا أوذوا صفحوا وعن علىّ رضى الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن لاتباهى الناس بعبادة الله واذا أحسنت حمدت الله تعالى واذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال أكثم دعامة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر وقال معاوية لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوّة العلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم أى الرجال أشجع قال من ردّ جهله بحلمه قال أى الرجال أسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال معاوية لعرابة بم سدت قومك قال كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى فى حوائجهم فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو أفضل منى ومن قصّر عنى فأنا خير منه وقال أنس بن مالك فى قوله تعالى (إدفَعْ بالّتى هىَ أحسنُ فإذا الذى بَينَكَ وبَينَهُ عَداوَةٌ كأنهُ وَلِى حَمِيمٌ وما يُلَقّاها إلاّ الذين صَبرُوا وما يُلَقّاها إلاّ ذو حَظٍّ عظيمٍ) هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنتَ كاذبا فغفر الله لك وإن كنت صادقا فغفر الله لى وعن

علىّ بن الحسين رضى الله عنهما انه سبّه رجل فرمى اليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة الحلم . وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله عزّوجل . وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشىء من الدنيا يسير *

﴿ بيان القدر الذى يجوز به الانتصار من الكلام ﴾

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السبّ بالسبّ وكذلك سائر المعاصى وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير فقال (إنِ امرُؤٌ عَيَّرَكَ بما فيكَ فلا تُعَيِّرْهُ بما فيهِ) وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ـ قالوا ـ والنهى النبوى عن مقابلة التعيير بمثله نهى تنزيه والأفضل تركه ولكنه لا يعصى به ـ قالوا ـ والذى يرخص فيه أن تقول من أنت . ويا أحمق . ويا جاهل . اذ ما من أحد إلا وفيه حمق وجهل فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا ثلابا للأعراض وكان ذلك فيه . وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت وما أحقرك فى عينى بما فعلت واستدلوا بالحديث (المستَبّانِ ما قالاَ فعَلَى البادِئِ منهما حتّى يَعتَدِىَ المَظلومُ) فأثبت للمظلوم انتصارا الى أن يعتدى *

فهذا القدر هو الذى أباحه هؤلاء وهو رخصة فى الإيذاء جزاء على إيذائه السابق (قال الغزالى) ولا تبعد الرخصة فى هذا القدر ولكن الأفضل تركه فانه يجره الى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه . والسكوت

عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع فى الجواب والوقوف على حدّ الشرع فيه . ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه فى فورة الغضب ولكن يعود سريعا وفى الحديث (خَيرُ بَنِى آدمَ البَطِىءُ الغضَبِ السَّرِيعُ الفَىْءِ وشرُّهم السَّرِيعُ الغضَبِ البَطِيءُ الفَىْءِ)

﴿ معنى الحقد ونتائجه الوخيمة وفضيلة الرفق ﴾

اعلم أن الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفى فى الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا . ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى . وقد قال صلى الله عليه وسلم (المؤمنُ ليس بحَقُودٍ) والحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر أمورا منكرة (الأول) الحسد وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان أصابها وتسرّ بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين (الثانى) أن يزيد على اضمار الحسد فى الباطن فيشمت بما أصابه من البلاء (الثالث) أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك وأقبل عليك (الرابع) وهو دونه أن تعرض عنه استصغارا له (الخامس) أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سرّ وهتك ستر وعورة (السادس) أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه (السابع) ايذاؤه بالضرب ومايؤلم بدنه (الثامن) أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو ردّ مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد لو احترز عن هذه الآفات الثمانية أن يترك البشاشة أو الرفق والعناية والقيام بحاجاته أو المعاونة على المنفعة له وكله مما ينقص الدرجة فى الدين ويفوت الثواب الجزيل

ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لأمر ما نزل قوله تعالى (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه *

والأولى أن يبقى على ما كان عليه فان أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين *

﴿ فضيلة العفو والاحسان ﴾

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه ويبرأ عنه من قصاص أو غرامة . قال الله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقال تعالى (وأن تعفوا أقرب للتقوى) وقال صلى الله عليه وسلم (التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله) وقال صلى الله عليه وسلم (أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك) وروى عن الحسن البصري رحمه الله أنه دخل على أمير يعرض له بالعفو فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته من بيعهم إياه وطرحهم له في الجب فقال (باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم) وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال أيها الأمير ماذا صنع الله به أداله منهم ورفع ذكره

وأعلى كلمته وجعله على خزائن الأرض فاذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله قال (لا تَثْرِيبَ عَلَيكُمُ اليَوْمَ يَغفِرُ اللهُ لَكُم وَهُوَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ) فعفا ذلك الأمير وروي أن ابن مسعود سرقت له دراهم فجعلوا يدعون على من أخذها فقال لهم اللهم ان كان حملته على أخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . وقال معاوية: عليكم بالحلم والاحتمال فاذا أمكنتكم الفرصة فعليكم بالصفح والافضال *

﴿ فضيلة الرفق ﴾

اعلم أن الرّفق محمود ويضادّه العنف والحدّة . والعنف نتيجة الغضب والمظاظة . والرفقُ واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة . ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوّة الغضب وحفظها على حدّ الاعتدال . ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال (مَنْ أُعطِيَ حظَّهُ مِنَ الرِّفقِ فقد أُعطِيَ حظَّهُ من خيرِ الدُّنيا والآخرةِ . ومن حُرِمَ حظَّهُ منَ الرِّفقِ فقد حُرِمَ حظَّهُ من خيرِ الدُّنيا والآخرةِ) وقال صلى الله عليه وسلم (إذا أحبَّ اللهُ أهلَ بيتٍ أدخلَ عليهِمُ الرِّفقَ) وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة (عليكِ بالرِّفقِ فإنَّهُ لا يدخلُ في شيءٍ إلاّ زانَهُ ولا يُنزَعُ من شيءٍ إلاّ شانَهُ) *

وسر الترغيب في الرفق والثناء عليه هو كون الطباع الى العنف والحدة أميل . وان كان العنف في محله حسنا فان الحاجة قد تدعو اليه ولكن على الندور * والكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل أمر حقه *

﴿ ذم الحسد ﴾

اعلم ان الحسد أيضا من نتائج الحقد الذميم . والحسد من الفروع الذميمة مالا يكاد يحصى . وقد ورد فى ذمه أخبار كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم (الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَناتِ كما تأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ) وقوله (لاَ تَحاسَدُوا وَلاَ تَقاطَعُوا وَلاَ تَباغَضُوا وَلاَ تَدابَرُوا وَكُونوا عِبادَ اللهِ إخْوَاناً كما أمرَكم اللهُ) ومن الآثار * قول بعض السلف . ان أول خطيئة كانت هى الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية (وعن) ابن سيرين رحمه الله . ما حسدت أحدا على شئ من أمر الدنيا لانه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على أمر الدنيا وهى حقيرة في الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير الى النار وقال بعضهم الحاسد لاينال من المجالس إلاّ مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة إلاّ لعنة وبغضاً ولا ينال من الخلق إلاّ جزعا وغما ولا ينال عند الموقف إلاّ فضيحة ونكالا *

﴿ حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ﴾

الحسد نوعان (أحدهما) كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه (وثانيهما) عدم محبة زوالها وتمنى مثلها وهذا يسمى غبطة فالأوّل حرام بكل حال الا نعمة أصابها فاجر وهو يستعين بها على محرم كافساد وايذاء فلايضر محبة زوالها عنه من حيث هى آلة الفساد ويدل على تحريم الحسد

الاخبار التي نقلناها وان هـذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لاعذر فيـه ولا رخصة وأيّ معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة والى هذا أشار القرآن بقوله (إن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وإن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها) وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى (ولا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِم حاجَةً مِمَّا أُوتُوا) أي لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد . وأما المنافسة فليست بحرام بل قد تكون مطلوبة قال تعالى (وَفِي ذلك فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ) وقال تعالى (سابِقُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ) وقال صلى الله عليه وسلم (لا حَسَدَ إلاّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فَسَلَّطَهُ عَلى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ وَرَجُلٌ آتاهُ اللهُ عِلماً فَهُوَ يَعمَلُ بِهِ وَيُعَلِّمُهُ الناسَ) فلا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له . وأما تمنى عين نعمة الغير بانتقالها اليه لرغبته فيها بحيث يكون مطلوبه تلك النعمة لا زوالها فهو مذموم لقوله تعالى (ولا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ) وأما تمنيه لمثل ذلك فليس مذموما فاعرف الفرق *

﴿ أسباب الحسد ﴾

للحسد المذموم مداخل كثيرة وأسباب عديدة (فمنها) العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد فان من آذاه شخص بسبب من الاسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه

الحقد . والحقد يقتضي منه التشفي والانتقام . فان عجز المتنغص عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان . وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى . فمهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وانما لاجله . ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لامنزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما . وانما غاية التقي أن لا يبغي وأن يكره ذلك من نفسه (ومنها) التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره (ومنها) حب الرياسة وطلب الجاه بأن يكون منفردا عديم النظير غير مشارك في المنزلة يسوءه وجود مناظر له في المنزلة (ومنها) خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله بحيث يشق عليه أن يوصف عبده بحسن حال عبد فيما أنعم عليه ويفرح بذكر فوات مقاصد أحد واضطراب أموره وتنغص عيشه . فهو أبدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه . وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع ومعالجته شديدة لانه خبث في الجبلة لا عن عارض حتى يتصور زواله . وقد يجتمع بعض هذه الاسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة أعاذنا المولى من ذلك بلطفه وكرمه *

﴿ بيان الدواء الذى ينفي مرض الحسد عن القلب ﴾

إعلم أن الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لاضرر فيه على المحسود فى الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوّك فارقت الحسد لامحالة أما كونه ضررا عليك فى الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التى قسمها بين عباده وعدله الذى أقامه فى ملكه بخفىّ حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية فى حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدّين وقد انضاف الى ذلك أنك فارقت أولياءه وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت ابليس والكفار فى محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب . وأما كونه ضرراً فى الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك فى الدنيا أو تتعذّب به ولا تزال فى كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذّب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً ضيق الصدر قد نزل بك مايشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوّك فتنجزت فى الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضي

الفطنة ان كنت عاقلا أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما فى الحسد من العذاب الشديد فى الآخرة فما أعجب ممن يتعرّض لسخط الله من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة . وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لاتزول عنه بحسدك . وأما أن المحسود ينتفع به فى الدّين والدنيا فواضح أما منفعته فى الدّين فهو أنه مظلوم من جهتك لاسيما اذا أخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساوءه فهذه هدايا تهديها اليه إذتهدى اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً كما حرمت فى الدنيا عن النعمة . فاذا تأملت هذا عرفت أنك عدوّ نفسك وصديق عدوّك إذتعاطيت ماتضررت به فى الدنيا والآخرة وانتفع به عدوّك فى الدنيا والآخرة وصرت مذموماً عند الخالق والخلائق شقيا فى الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت باقية ومن تفكّر فى هذا بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه . وأما العمل النافع فيه فهو أن يكلف نفسه نقيض ما يتقاضاه الحسد وذلك بالتواضع للمحسود والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة فتعود القلوب الى التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض . فهذه هى أدوية الحسد وهى نافعة جداً الا أنها مُرّة على القلوب جداً ولكن النفع فى الدواء المرّ فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء . وانما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للأعداء والتقرب

اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعانى التى ذكرناها وقوة الرغبة فى ثواب الرضاء بقضاء الله تعالى *

كتاب ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة . وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك . فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها . وانما نورد بعض الأخبار الواردة فيها . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على شاة ميتة . فقال (أترَوْنَ هَذِهِ الشاةَ هيّنةً على أهلِها) قالوا من هوانها ألقوها قال (والّذى نفسى بيدِهِ للدُنْيا أهونُ على اللهِ من هذِهِ الشّاةِ على أهلِها ولو كانَتِ الدُّنيا تَعدِلُ عندَ اللهِ جَناحَ بعُوضةٍ ماسقى كافِراً منها شَربةَ ماءٍ) وقال صلى الله عليه وسلم (حبُّ الدُّنيا رَأسُ كلّ خطيئةٍ) وقال صلى الله عليه وسلم (إنّ الدُّنيا حُلوَةٌ خَضِرَةٌ وإنّ اللهَ مُستخلِفُكُمْ فيها فناظِرٌ كيفَ تعمَلُون)

﴿ بيان الدنيا المذمومة ﴾

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك مالم تعرف الدنيا المذمومة . ماهى وما الذى ينبغى أن يجتنب منها وما الذى لا يجتنب فلا بد وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هى . فنقول : دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك . فالقريب الدانى